

ارتباطه به، حتى صار، في عقل الجاحظ، علامة أخرى على تحقق ذلك الفن الأدبي.

وللباقلائي -أيضا- حديث عن تقنيات السجع باعتباره فناً أدبياً شأنه في ذلك شأن الشعر، يقول: "وللسجع منهج مرتب محفوظ، وطريق مضبوط، متى أخل به المتكلم أوقع الخلل في كلامه، ونسب إلى الخروج عن الفصاحة، كما أن الشاعر إذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئاً، وكان شعره مردولاً، وربما أخرج عن كونه شعراً".<sup>(١)</sup> ويتأكد لنا صدق تصورنا حول كيفية فهم الباقلائي لمصطلح السجع حينما نراه يُقسّم الكلام البديع المنظوم إلى: "أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه، ثم إلى الكلام الموزون غير المقفى، ثم إلى أصناف الكلام المعدل المسجع، ثم إلى معدّل موزون غير مسجع، ثم إلى ما يرسل إرسالاً، فتطلب فيه الإصابة والإفادة".<sup>(٢)</sup>

ولا شك أن اعتبار السجع فناً أدبياً يتسق مع نشأته التي ارتبطت بواقع ديني وبطبيعة دينية كرسّت السجع للتعبير عن مراميها، مخلفة للتراث نوعاً إبداعياً عرف باسم "سجع الكهان"، ولقد تأتى للسجع -في ضوء هذه النشأة- أن تعلقت به الدالّتان معاً: كونه أداة تعبيرية، وكونه فناً من الفنون الأدبية. وليس من الغريب أن تتنازع الكلمة هاتان الدالّتان؛ فالسجع بنية بلاغية بديعية تمتلك القدرة على نقل الكلام المنثور من حالة النثرية الخالصة إلى حالة جديدة ذات طابع إيقاعي مميّز. ولأن السجع يمكن أن يستغرق النسيج اللغوي للنص؛ لذا فقد صار التوسّع في مفهومه إلى حدّ اعتباره نوعاً من أنواع المخاطبات الأدبية أمراً ليس بمستغرب في التراث. ولقد سجّل "التهانوي" نقلاً عن تقدموه، خاصة شراح التلخيص، حقيقة تعدد المفاهيم الاصطلاحية للسجع. فالسجع يُطلق على: "نفس الكلمة الأخيرة من الفقرة باعتبار كونها موافقة للكلمة الأخيرة من الفقرة الأخرى... وقد يطلق على التوافق المذكور الذي هو المعنى المصدري وبهذا الاعتبار قيل: السجع تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد في الآخر، وقد يطلق على الكلام المسجع، أي الكلام الذي فيه السجع، ويجوز أن تسمّى

(١) إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلائي، ت محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط أولى، ١٩٩١، ص ١١٢-١١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٦.